دور المثقف العربي
في معركة قادسية صدام

د. محسن جمال الدين

كلية الآداب - جامعة بغداد

قبل التحدث عن دور (المثقف) العربي في معركة قادسية صدام • علينا ان نعرف (الثقافة) بمدلولها اللغوي ، والادبي ، والاجتماعي ، والفكري ، والحضاري • بما طرحه الاقدمون • وبسطه المحدثون •

(فالثقافة) عند اللغويين هي الحذق والمهارة والفطنة والسرعة والغلبة • قالوا « تثاقفوا فكان فلان اثقف منهم » •

وقال بعضهم « لولا تثقفك لما كنت شيئا » • وثقف العلم والصناعة اي حذقها في اسرع مدة[1] • اما عند الادباء « فهي المعرفة بالعلوم والفنون والاداب»[2] •

ان اول مفكر عربي اجتماعي فطن الى مفهوم (الثقافة) هو العلامة (عبدالرحمن بن خلدون)[3] (٧٣٢ هـ ــ ٨٠٨ هـ) • الذي ربط بينها وبين المفهوم العمراني[4] •

ثم تطورت هذه اللفظة في معانيها واصبحت كلمة هي التعبير عن الواقع الاجتماعي وعطاء الفكر[5] •

(١) راجع ــ اقرب الموارد ج١ ــ ص٩١ .
(٢) راجع ــ المنجد ص٧١ .
(٣) راجع ــ الاعلام ج٤ ــ ص١٠٦ .
(٤) راجع ــ في الثقافة والحضارة ص٥٤ .
(٥) راجع ــ المصدر نفسه ص٥٥ .

وهي على حد تعبير الاستاذ الدكتور (الياس فرح) الصورة المعبرة عن الحياة المميزة للجماعة • وانها كالثمرة من الشجرة[٦] •

اما المفكر العربي الاستاذ (ميشيل عفلق) فقد اعطى للثقافة مفهوما مرتبطا بالانسان العربي والقومية • وجعلها نوعا من انواع النضال • « النضال مع النفس ، والفكر ، لكي يتعب فيّ تحصيل المعرفة ، ولكي يجرأ على تبديل الاسس السطحية فيّ الفكر الشائع ، وليعيد النظر في كل الامور الاساسية حتى تصل الى النظرة الجديدة »[٧] •

(والثقافة العربية) هي الثقافة الاصيلة المنبعثة من الواقع العربي ، في تراثه المجيد ، وفيّ تاريخ امته الكريمة •

ونحن نعتقد بانها هي المعرفة والوعي والادراك لواقع الانسان وحقيقة وجوده • كما انها كذلك « هي تعبير عن شخصيته تنمو وتتفتح وتتجدد وتبدع »[٨]

هذا وان مفهوم (الثقافة) اليوم ، يختلف باختلاف التفكير الفلسفي والثقافيّ والسياسي • ومن هذه المفاهيم • الثقافة الارستقراطية ، والثقافة الديمقراطية والثقافة الاشتراكية العربية • وبقية الثقافات التي تدور في حلقات الدول والشعوب والاحزاب ذات الطابع السياسي المميز[٩] •

غير ان الثقافة العربية لحزب البعث العربي الاشتراكي • انما تنبعث من ايدلوجيته العربية ، واسس مبادءه وثقافة الانسان العربي المؤمن بالقومية العربية • المجاهد المؤمن الثائر من اجل وحدته ، وتحرره ، ونظامه الاشتراكي[١٠] •

كما انه « لاينسى المعاصرة والابداع واكتشاف الصلة بين الانسان

---

(٦) راجع ــ المصدر نفسه ص٥٨ .
(٧) راجع ــ المصدر نفسه ص١٠٣ .
(٨) راجع ــ المصدر نفسه ص١١١ .
(٩) راجع ــ المصدر نفسه ص٥٨ .
(١٠) راجع ــ المصدر نفسه ص١٧٩ .

العربي وامته والعالم المعاصر »[11] .

قال احد الكتاب الغربيين عن صلة الثقافة في الحياة . « بانها ساحة نضال ، واداة تغير ، وموقف حي من المشكلات الكبرى التي تطرحها التحديات المصيرية على الشخصية الفردية والقومية »[12] .

اما (المثقف) فهو ذلك الانسان الملم بالمعرفة الشمولية ، المتتبع لمعاني قضاياها الانية ، المطلع على اسرارها ومشاكلها ، المتحسس لواقع امته ، وقضايا وطنه السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية . والذي لا يرضى بالجمود حياة ، ولا بالحياة جمودا . ويجعل من الحركة عملا ، ومن العمل انتاجا ، ولا يرضى بالتقليد الميت ، بل يسعى الى التطور الحي !! وان يعطى مالديه من معرفة لمواطنيه ، ويأخذ من تجاربه وتجاربهم بما يرفد نفسه وشخصيته من مختلف المعارف والثقافات . دون التقيد بالزمان او المكان . ولايقتصر تعريف (المثقف) على من قرأ الكتب ، وحمل الشهادة ، والاجازة العلمية . بقدر ما يدل على من قرأ فوعى ، او كتب فاهدى ، اواسس فبنى ، او اشاد فاعلى ، او سمع فاصغى[13] .

وقد يكون هذا (المثقف) عاملا في المصانع او الحقول ، او في المدارس والجامعات ، او في دور الصحف والمجلات ، او في حقل التلفزة والاذاعات ، او في ساحات الامن والجيش ، او في ميادين القبس والشرطة .

وكل واحد من هؤلاء وغيرهم رجالا ونساء نعتبر الفرد منهم مثقفا اذا عرف ما للوطن من واجبات عليه ، وما للامة من قدسية لديه ، وما للكرامة من شرف يحفظه ويرعاه ، يفديه بالغالي والنفيس !!

وان يكون معتزا باصالة ثقافته العربية ، مدافعا عنها ، واعيا لقضاياها دارسا لتراثها الاصيل ، مستفيدا ومفيدا لنماذجه الحية الخالدة ، ومعانيه

---

(١١) راجع ـ المصدر نفسه ص١٧٩ .
(١٢) راجع ـ المصدر نفسه ص٧٦ .
(١٣) راجع ـ المصدر نفسه ص١٧٩ ..

السامية • غير منصهر بقوالب شرقية او غربية • بل عائشا في عالم الوطن العربي وكيانه المتين •

قال الأستاذ (ميشيل عفلق) في حديثه عن بعض (المثقفين) الذين تأثروا بالثقافات الاجنبية وتناسوا واقعهم العربي ، وعاشوا جسدا بالقرب منا ، وروحا بعيدا عنا • فوصفهم بقوله : « لقد كان في بلادنا عدد غير قليل من الذين اقصتهم الثقافات الاجنبية والذين يعيشون باجسامهم بيننا ، وبافكارهم وارواحهم مع البلاد الاوربية • وهم مع ذلك يعطون لانفسهم حق اعطاء الرأي في مشاكلنا وماضينا وحق التأثير والتوجيه »[١٤] •

ان قوله هذا لايدل في الواقع على غلق انفسنا وارواحنا وعقولنا عن انوار الثقافة العالمية والانسانية • بقدر ما يدل على وجوب استقلالية تفكيرنا واعتزازنا بثروة تراثنا الفكرية والحضارية •

قال المهاتما (غاندي): من كلمة جاءت في سيرة حياته « انني اسمح لنوافذبيتي ان تكون مشرعة على جميع العالم ، ولكني لا اسمح لهذه الرياح أن تزحزح بيتي من مكانه »[١٥] •

ولقد جاء في مأثور الحكمة العربية الاصيلة قول كريم وهو : « خذوا الحكمة من اي وعاء خرجت » وطبعا ان يكون هذا الوعاء طاهرا نقيا نظيفا !!

اما (الدور) الذي يجب ان يلعبه المثقف العربي في هذه المعركة العربية المقدسة ،وفي حربها التحريرية الجبارة • فهو ان يعطي للكلمة حقها من القدسية ، وان يمنح الواجب الشريف حصته من العناية والرعاية، ومن التضحية والفداء • لان هناك صلة بين (مداد العلماء ودماء الشهداء) كما روي عن الرسول الاعظم (ص)[١٦] •

ان « قوة الكلمة » هي التي اوحت لشاعر المقاومة الفرنسي بول ايلوار

---

(١٤) راجع ــ المصدر نفسه ص١٠١ .
(١٥) راجع ــ المصدر نفسه ص٨٩ .
(١٦) راجع ــ اسنى المطالب ص١٩٣ .

ان يقول « بقوة كلمة ، اتابع حياتي من جديد ، تلك الحياة التي كاد ان يقطعها اليأس »[١٧] .

ونرى اليوم ان الكلمة الثائرة ، هي صنو للرصاصة القاتلة ، في معركة الشرف والكرامة ، وهذا مضمون ما رفعته الثورة في شعاراتها القومية والوطنية . وما ذكره السيد الرئيس المهيب الركن صدام حسين في مختلف المناسبات والمقولات .

على (المثقف العربي) ان لايكون بعيدا عن اماني الوطن ، وحق البلاد في دفاعها المجيد ، ضد اعدائها من المستعمرين والصهاينة ، ومن الفرس العنصرين احفاد كسرى ورستم ، الحاقدين على العروبة ، وما فيها من تراث ناصع ، ورسالة انسانية سامية ، ذات عز تليد[١٨] .

على الانسان العربي الواعي والمثقف ان يرجع للتاريخ العربي والاسلامي . ليقرأه ويتدبره ويسير على نهجه القويم ، وسبيله الواضح . لما فيه من معاني الكرامة والشهامة ، ومن بواعث العزة والاباء ، ومن سمو العلم والمعرفة!!

لقد سرد لنا التاريخ المجيد ، صورا مشرقة ، وامثلة ناصعة ، حيث سجل على صفحاته احداثا عربية خالدة كان من بينها قصة الامير العربي (النعمان بن المنذر) وملك (الحيرة) وموقفه المشرف امام (كسرى) ملك (الفرس) وهو في طغيانه وجبروته . وقوة حكمه وارتفاع ايوانه . واستطاع (النعمان) ان يرد مطالبه ورغباته وان لايزوجه احدى بناته ، وان يدفع عن قومه العرب ببلاغته ، وقوة جنانه ، ما جعل (كسرى) مبهورا متراجعا . وجعل الوفود القادمة اليه من (الروم) و (الهند) و (الصين) تعجب من عبقرية ذلك العربي الشجاع الابي!![١٩]

---

(١٧) راجع ــ في الثقافة والحضارة ص١٤٥ .

(١٨) راجع ــ دماء على نهر الكرخا ص٣٣ وما بعدها .

(١٩) راجع ــ جواهر الادب ج١ ص٢٣٠ وما بعدها . والعقد الفريد ج٢ ص٤ .

ولم يكتف (النعمان) بهذه (المناظرة) التي جرت بينه وبين (كسرى) بل بعث اليه بوفد عربي مؤلف من كرام القوم وابلغ خطاباتهم ليفهمه مرة اخرى ، ما للكرامة العربية من قيمة ، وما لاصحابها من مكانة .

ونحن الان بهذه المناسبة نعيد عرض تلك الصورة المجيدة ، ونقتطف ما ذكره المؤرخ (الكلبي) عن هذه الجلسة التاريخية ، التي تشير الى واجب (المثقف) العربي ، وموقفه الرائع تجاه قوميته وابناء امته ، وواقع ذاته ، وشخصيته العربية . قال (الكلبي) :[٢٠]

قدم (النعمان بن المنذر) على (كسرى) وعنده وفود الروم ، والهند ، والصين . فافتخروا ببلادهم وملوكهم . وقام (النعمان) وافتخر بالعرب وفضلهم على جميع الامم ، لا يستثني فارس ولا غيرها .

فقال (كسرى) واخذته عزة الملك ، واخذ يصف (الروم) في اجتماعها وسلطانها ، وكثرة مدائنها . و(الهند) في حكمها وطبها . و(الصين) في صناعات ايديها والة حروبها . وانتقص من العرب ومنزلتهم .

فاجابه (النعمان) ورده وقال يا كسرى :

اما الامم التي ذكرت فاية امة تقرنها بالعرب الا فضلتها .

قال كسرى : بماذا ؟

قال النعمان : بعزها ومنعتها ، وحسن وجوهها ، وبأسها ، وسخائها ، وحكمة السنتها ، وشدة عقولها ، وانفتها ووفائها .

وواصل حديثه فقال : حصونهم ظهور خيولهم ومهادهم الارض ، وسقوفهم السماء ، وجنتهم السيوف ، وعدتهم الصبر .

واستمر في وصف وسرد ما للعرب من فضائل وخصائص امتازوا بها على من سواهم من الامم .

قال (الكلبي) :[٢١]

---

(٢٠) راجع ــ المصدر نفسه ج١ ص٢٢٦ وما بعدها .

(٢١) راجع ــ المصدر نفسه ج١ ص٢٣٠ .

فلما قدم (النعمان) الحيرة وفيّ نفسه ما فيها مما سمع من كسرى من تنقص العرب ، وتهجين امرهم • بعث اليه بوفد مؤلف من كرام القـــوم وخطبائهم منهم :

اكثم بن صيفي التميمي •
وحاجب بن زرارة التميمي •
وعمرو بن معد يكرب الزبيدي •
وعامر بن الطفيل العامري •
وخالد بن جعفر الكلابي •
وعلقمة بن علاثة العامري •
وقيس بن مسعود الشيباني •
والحارث بن ظالم المريّ •

وهؤلاء كان لهم مع (كسرى) موقف شهدت بصراحته ،وبلاغته ، وقوة حجته ، صفحات التاريخ العربي المجيد •

ومما يوم (ذي قار) عن اعين الفرس ببعيد !! حيث حقق الســيف ، وقوة البيان العربي الغاية في نصره المؤزر ، وفيّ يوم معركته الخالدة !!

ان ما قدمناه من هذه الصورة المشرقة من تاريخ العرب وهم في عصر ما قبل الاسلام يدل على موقف نبيل وقفه امير من امرائهم ، وقائـــد من قوادهم ، ضد الغطرسة الفارسية ، وضد غرورها المصطنع • وليـت من يدعون العروبة من المتخاذلين والتبعيين ان يرجعوا الى ماضي الأمة العربية وتاريخها كي يجدوا الفرق بين مواقفهم ، ومواقف قوم النعمان بن المنذر الذين سجلو أغر الصفحات !!

وجاء الاسلام بنوره الوضاء ، ليخرج الناس من الظلمات الى النور ، وليدك عروش الظلم والطغيان • فكان ان تهاوى (ايوان كسرى) وملكه • ورفع القرآن الكريم من جديد مكانة العرب • فوصفهم بانهم «خير امة اخرجـت للناس »[٢٢] •

(٢٢) راجع ــ القرآن الكريم آلاية ١١٠ سورة آل عمران . .

وقامت المعركة العربية الفاصلة بين الحق والباطل ، وخفقت راياتها على ذرى (القادسية) بيد الابطال العرب المسلمين • فولى الفرس ادبارهم منهزمين • لم تنفعهم كثرتهم ولم تثبت اقدامهم فيلتهم • فكان ان ثبت الله اقدام المؤمنين ونصرهم نصرا عزيزا[٢٣] •

فدخل (الفرس) الاسلام وهم كارهون وفي قلوبهم حقد دفين على العروبة • وتمثل ذلك في الاحداث التي رافقت نشوء الدولة الاسلامية في عصر الراشدين • وما صاحب ذلك من الفتن والاغتيالات السياسية • وماجرى من امور واحداث كان للموالى منهم بعد ذلك اليد الخفية في اسقاط الدولة الاموية العربية •

ثم جاء العصر العباسي ، فرأينا توغلهم في كيان الدولة الجديدة ، ونهيهم وامرهم في ادارة شؤونها • مما دفع (المنصور) العباسي ان يقطع رأس فتنتهم بقتله ابي مسلم الخراساني •

ثم يأتي دور الخليفة (هارون الرشيد) ليقضي على الاسرة البرمكية ، التي طمعت في سلب الخلافة من ايدي ابناء العباس عم النبي (ص) • ليجعلوها فارسية زرادتشية • ويكون (جعفر البرمكي) هو القائد المطلق والحاكم المتصرف بالمقدرات العربية الاسلامية • ولكن احلامهم ذهبت مع الريح ، وفي مطاوي القوة العربية الواعية الصامدة • التي اوقفتهم عند حدهم ، وتلاشت احلامهم الواهية !!

ان دور (المثقف العربي) اليوم ، هو دورهم ، لالانه يتحمل مسؤولية الكلمة، سواء اكان شاعراً ام ناثراً • اليس بيتا من الشعر العربي ، هز مشاعر واحاسيس (الرشيد) وحرك كوامن الالم الدفين في نفسه ضد (البرامكة) الفرس ؟ حينما القى بعض جلسائه ابياتا مستشهدا بقول الشاعر العربي (عمر بن ابي ربيعة) القائل من قصيدة معروفة[٢٤] •

---

(٢٣) راجع ــ عن القادسية ــ دائرة معارف القرن العشرين ج ص٦٥٦ ،
(٢٤) راجع ــ جواهر الادب ج٢ ص١٦٥ •

ليـــت هذا انجزتنـــا ما تعـــد
وشفت أنفسُـــنا ممـــا نجـــد
واســـتبدت مـــرة واحـــدة
انما العاجـــز من لايســـتبد

ومن الغريب اننا نجد اليوم ابناء كسرى وخلفاء الشاه في (طهران) يتفاخرون بقوتهم ، ويتباهون بغرورهم وطائراتهم • ما علموا ان قـــوة الجيش لا تأتي الا بالروح القومية والعزيمة الصادقة والارادة الصلبة ، والقائد المحنك ، الذي لا يهاب الموت ، ولايخشى العذا ، ويقدم نفســـه قربانا للوطن ، وضحية للامة !!

ولقد احسن شاعرنا العراقي (البصير) بقوله :[٢٥]

والجيش يضعف أويقـــوى بقائـــده
وما الســـلاح له اجدى من الهـــمم

ليست (قادسية صدام) مقتصرة على من حمل السلاح ووقف في خط النار ، بل هي واجب حتمي لازم على كافة ابناء الامة العربية في العـــراق وسائر ابناء الوطن العربي • لما تتصف به المعركة من اهداف سامية لمعانـــي الحق والتحرر والأنطلاق • في الحصول على ما سلبه الاعداء الفرس منا ، في غفلة من الزمن ، وفي فترات سياسية • كان الوطن العراق فيها يعيش في ذوامة من المشاكل الداخلية ، والاطماع الاستعمارية •

فقضية الحدود العراقية الايرانية • التي تمتد جذورها الى ما قبـــل عام ١٩١٣م[٢٦] وما بعده ، انما حاولت طمس معالمها واثارها الوطنية أيدي الأستعمار • منذ ان وطئت أقدام الانكليز ارض العراق ، وحينما اتفـــق

(٢٥) راجع ـــ مجلة النجف ليوسف رجيب العدد الخاص سنة ١٩٢٥ .

(٢٦) راجع ـــ بشأن الحدود العراقية الايرانية ـــ دليل الخليـــج ج٤ ص٢٢٢٤ . وج٥ ص٣١١١ . وكذلك راجع ـــ دراسة الدكتور جابر ابراهيـــم الراوي المعنونة الغاء الاتفاقية العراقية ، الايرانية وزارة الثقافة والاعـــلام سلسلة رقم ١١٦ ففيها تفاصيل نافعة مركزة .

المستعمرون فيما بينهم على تقسيم الوطن العراق • واستلاب حقوقـــه ؛ وتوزيع اراضيه كغنائماً للاعداء والطامعين •

وحيث ان عراق اليوم يحيا حياة حرة كريمة ، مستقل الارادة واعي الفكر ، يسعى لأزالة اثار الغبن الذي لحق بالوطن والأمة • في العصـــور الغابرة والعهد القريب • وما كان من عدوان صارخ اغتصبـــت فيه أرض عربية ، وتربة مقدسة • وجدناه يفجر ثورته العارمة الجبارة • ثـــورة السابع عشر من تموز المجيدة • بقيادة (حزب البعث العربي الاشتراكي) وظهور بطل التحرير القومي الرئيس المناضل (المهيب الركن صدام حسين) قائداً تاريخيا محنكا في المسيرة الظافرة • وبالوقوف ضد الرجعيـــــة الفارسية السوداء • وضد التخلف الذهني ، والغطرسة الفارسية الهوجاء • التي تديرها زمرة من العقول الآسنة ، غايتها ان ترجـــع عجلة التاريخ الى عصور التأمر والانحطاط • وازمان الجهل والظلام ، ومحاكـــم الجـــور والتفتيش •

لقد قام الرئيس القائد (صدام حسين) وتبعه الشعب العراقـــي العظيم ليعيد للوطن ما سلب منه ، ويرجع للامة ما انتزع منها على غرار مما فعل (قتيبة بن مسلم الباهلي) و (محمد بن القاسم الثقفـــي) و (المثنى بن حارث الشيباني) و (صلاح الدين الايوبي) • وبقية النماذج الخالدة مـــن رجالات العروبة والاسلام[٢٧] •

وقامت من اجل ذلك معركة التحرر الوطنـــي • اما العلاقـــة بين (قادسية) العرب الاولى و (قادسية صدام) الثانية • فهي علاقة الـــروح بالجسد ، وصلة الام بالولد • وارتباط الماضي المجيد ، من تاريخ العـــرب الخالد ، بحاضرهم المشرق ، المتطلع نحو اهداف ــ الوحدة ــ والحريـــة ــ والاشتراكية •

---

(٢٧) راجع ــ الاعلام ــ حسب الحروف الهجائية ــ ودائرة معـــارف القرن العشرين كذلك في ترجمة هؤلاء الاعلام •

اما دور المثقف العراقي خاصة ، والعربي عامة في (معركة قادسية صدام) فيكون بالامور الاتية :

١ ــ ان يحمل المثقف والاديب قلمه ليدافع بأيمان عن قضايا وطنه وامته ، ضد اعدائها وخصومها • كما يدافع الجندي في ساحة المعركة ، وامام خط النار • وان يكون واجبه في التوعية والتوجيه • وبيان اهمية المطالب الوطنية والقومية ، وفضح النوايا الاستعمارية • ورفد نفوس المواطنين بتصوير الواقع الحي ، واهمية الحق وتقديس الوطن ومحبة الامة • بحيث يكون يراع المثقف ، كبندقية المقاتل • وقطرات مداد قلمه ، كرصاص البندقية والرشاشة في قوة الكلمة ، وحرارة الايمان •

ولقد اشار شاعرنا العراقي (البصير)لذلك مبينا ما للسلاح من مكانة في معارك الوطن ، وما للعلممن رسالةفي واجب التوعيةفقالمن قصيدة:(٢٨)

بدولة العلم تقوى سلطة العلم
الضرب للسيف والتدبير للقلم
وما تصان حقوق (الشعب) قائمة
الا بنضح مداد او بنضح دم

فقد ساوى بين قطرات الحبر ، وبين قطرات الدم كل له اثره ومنزلته وقيمته •

٢ ــ ان يكتب (المثقف) وينشر بقوة واندفاع وحقيقة عما يلمسه من انتصارات وظفر بما يجرى في سوح المعارك العراقية المنتصرة عند البوابة الشرقية •

لأنه عندما يكتب او ينشر او يذيع وهو مؤمن بما يقول ، صادق بما يتحدث • مصور لما يراه ويسمع به ، من اخبار الانصارات التي يخوضها جيش بلاده المقدام • انما يعطى الحقيقة الصادقة لجيله وللاجيال القادمة من ابناء امته الذين يقرأون اليوم ، وما يقوله غدا • سواءأكان

(٢٨) راجع ــ قصيدة (البصير) في عدد النجف الخاص سنة ١٩٢٥ .

ذلك نثرا ام شعرا • وها نحن حتى الان مثلا نردد اشعار (ابي الطيب المتنبي) وهو يرسم بريشة عبقريته انتصارات القائد العربي (سيف الدولة الحمداني) في معاركه مع الروم •

وكاننا نجد اليوم في (معركة قادسية صدام) ما يعيد لنا صورة البطولة العربية الرائعة التي اشار اليها (ابو الطيب المتنبي) في قصيدته المشهورة التي وصف بها معركة (الحدث) سنة ٣٤٣ هـ اذ قال فيها :[٢٩]

على قدر اهل العزم تاتي العزائم
وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتعظم في عين الصغير صغارها
وتصغر في عين العظيم العظائم

ثم يصف الجيش :

خميس بشرق الارض والغرب زحفه
وفي اذن الجوزاء منه زمائم

ويخاطب قائده قائلا :

وقفت وما في الموت شك لواقف
كانك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك (الاعداء) كلمى هزيمة
ووجهك وضاح وثغرك باسم
تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى
الى قول قوم انت بالغيب عالم

٣ ــ كما رأينا بعض الأدباء والكتاب والصحافين في اوربا وغيرها من بلدان العالم في سنوات الحرب العالمية الثانية ، وقدوقفوا وعملواوحملوا السلاح ضد اعداء بلادهم ، والتحقوا في حروب المقاومة • ورفعوا البندقية في يد ، والقلم باليد الاخرى • ومن بين هؤلاء كذلك تظهر شخصيات

(٢٩) راجع ــ ديوان ابي الطيب المتنبي ــ شرح اليازجي ص١٠٤ ومابعدها.

سياسية كان موقفها كاولئك الكتاب يبرز من بينهم (تشرشل) في انكلتره ، و(ديغول) في فرنسا و(تيتو) في يوغسلافيا و(ونهرو) في الهند • وغيرهم ••

وهذه كتبهم ومذكراتهم الدالة على ادبهم واتساع معرفتهم السياسية والادبية •

٤ – ان يقوم حملة الاقلام من المثقفين الواعين في عرض قضاياهم الوطنية والتحريرية بشمولية واسعة ، لاتقتصر على العراق والوطن العربي وحدهما • بل عليهم ان يشرحوها ويبينوها لكافة ابناء العالم • بما يقدر عليه كل واحد منهم ،في حدود لغته ، وثقافته وادبه • وحبذا لو كان ذلك بلغات اوربية او شرقية حية • ولدى البعض منهم الطاقة الفكرية ، والمعرفة اللغوية ، والاسلوب الادبي والمراسلات العلمية ، مع الجامعات الاوربية ، والصحافة العالمية •

٥ – ان تعقد الدراسات ، وتعد البحوث والمقالات ، وتجمع النتاجات الادبية والعلمية • وان يكون لها مراجع ومصادر وفهارس • يعود اليها الدارسون والمحققون والمؤلفون والباحثون ، في يومهم هذا ومستقبلهم القادم •

لان انعقاد الدراسات واعداد البحوث والمقالات ، وتجميع النتاجات الادبية والعلمية اذا زودت بالمصادر والمراجع والفهارس لثمرات الاقلام الشاعرة والناثرة في (معركة قادسية صدام) • يعكس صورة طيبة واضحة لمساهمة ابناء الشعب في هذه المعركة التحريرية • ولتكون في المستقبل سجلا حافلا بانتصارات جيشنا العظيم في (قصر شيرين) و (سيف سعد) (ومهران والاحواز و عبادان وديز فول والمحمرة) • وما جاورها من الاماكن التي حررها جيش العراق في اقليم (عربستان) السليب •

٦ – ان نرفد الوسائل من صحافة واذاعة وتلفزيون ا ودور المعاهد والمدارس والجامعات وسائر الاندية والمؤتمرات بما نستطيع تقديمه من قصائد ومقالات واشعار شعبية وعمودية • بما يفرضه علينا الواجب

الوطني والقومي نحو معركة الامة العربية جميعا • ومعركة تاريخنا العربي الخالد ، ضد الاعداء المتربصين بنا الدوائر •

وقد رأينا كيف ساهم مثلا (الشعر الشعبي) و (والشعر العمودي) في تصوير المعركة المجيدة ، حيث صور الشعراء فيها عظمة القائد ، وقوة الجيش ، وروح المقاتل العراقي ، وارادته وصلابته ، وتفانيه في الدفاع عن تربة وطنه ، وعن جبن الاعداء وتراجعهم ، وتخاذل نفوسهم ، وسخف قيادتهم وتشتت آرائهم • كل ذلك بأسلوب جذاب ، وبمعاني طريفة مبتكرة•

كما لا ننسى ما قدمته كلمات الاغاني والاناشيد الوطنية بخيالها المجنح • وحماسها الثوري ، باصوات منشديها الجميلة ، وبتصويرها الرائع الحاث على الفداء والتحرر والاندفاع • بما لها من اثر بليغ في نفوس الجماهير !!

وكذلك لاننسى واجب الصحافة باقلامها النيرة ، وما قدمته من عطاء لخدمة (قادسية صدام) • وما تقدمه في اطلالة كل يوم جديدمن ايام المقاتل العراقي الباسل !!

٧ ــ هذا وان لاتكون دراستنا ونحن في محيط الجامعة ــ مثلا ــ مقتصرة على الدرس والمحاضرة ، بل يصحبها التوجيه والشرح والتفصيل لابعاد المعركة العسكريةوالسياسية والنفسية والوطنيةوالعلمية والاقتصادية، واعطاء التوضيح الكافي عن اوضاع اعدائنا وعقولهم المتخلفة • وافكارهم الجامدة ، التي لاتتناسب مع عقلية الشعوب الناهضة •

كما نشرح ونبين ما لهم من صلة بالخطط الاستعمارية ، التي تحاول ان تضع مراسيها في سواطيء الموانيء العربية ، وفي زوايا خليجنا العربي • ارتباط مسبق معها • ولو تظاهرت بطقوس الدين ، ومظاهر التقوى المزيفة، والتجرد من المادة ، والتقرب الى الروح !؟ بحسب ادعاءاتها ••

٨ ــ ان دور (المثقف) العراقي نحو وطنه وبلاده وشعبه ومعركة (قادسية صدام)يجب ان يتعدى الاقوال المجردة ، والالفاظ المزوقة ،

والاداءات الفردية ، الى العمل المثمر ، والمساهمة الجدية ، والسهر التام على قضايا الشعب ومطالبه الوطنية . وبحيث يكون الاستاذ والطالب والاديب وغيرهم من اصحاب المهن والحرف كلهم عيونا ساهرة ، والسنة ناطقة ، واقلاما معبرة عن الواقع الذي يعيشونه ، والحياة التي يحيونها . تحت شعار (امة عربية واحدة ، ذات رسالة خالدة) في اهدافها الثلاثة (الوحدة ، والحرية ، والاشتراكية) بقيادة ابن الوطن الشعبي ، الرئيس المناضل صدام حسين . الذي دخل حبه في كل قلب وبيت وزاوية . وبكل جانب من جوانب هذه الامة العربية المجيدة . في مدنها وريفها ، وفي باديتها وحضرها . وفي جبالها واهوارها .

لانه قد رأيناه محبا متواضعا ، ومساعدا لاخوته وجنوده ، وابنا شعبه ، محتضنا كل من جاء يطلب الحق ، ويريد العمل ، وبحيث انه قد قبل الصغير في مهده ، ورافق الكبير في سيره ، ورعى الشيخ لسنه ، وزار المريض في مستشفاه ، وتفقد الفلاح في حقله . واستمع الى العامل في مصنعه ، والطالب في صفه ، والاستاذ في كليته ومعهده ومدرسته . والمرأ في بيتها وعملها . لم يصد وجها عن العاملين ، ولم ينس جهود المنتجين ، ولم يتهاون بشأن المتكاسلين ، وعقاب المقصرين المهملين !!

كل ذلك وغيره جعله يقود الشعب ويرعاه ، ويساهم في تكوينه السياسي والاقتصادي والحضاري . ليحتل منزلته الكريمة ومقامه الاول ، وليعيد تراثه المجيد ، الذي كان في مقدمة سائر الامم ، والذي امتد من اقاصي الصين الى روابي الاندلس !!

ولابد لنا قبل ان ننتهي من الانعطاف نحو ماضي امتنا المجيدة وأبطالها الاشاوس ممن كانوا شعراء وادباء وقضاة وساسة . وممن قادو الجيوش ، وفتحوا الفتوح . وهم لايحصرهم قول ، ولايضم اسماءهم سرد علينا ان نذكر منهم الآن على سبيل الشاهد والمثال لا العد او الحصر

شخصية (طارق بن زياد) • فاتح الاندلس صاحب الخطبة المشـــهورة[٣٠] التي ورد منها قوله سنة ٩٢ هـ •:•

«واعلموا ان صبرتم على الاشق قليلا ، استمتعتم بالارفه الالـــذ طويلا • فلا ترغبوا بانفسكم عن نفيس • واعلموا باني اول مجيـــب الى ما دعوتكم اليه» •

وكذلك القائد الخطيب الشاعر البحار (اسد بن الفرات الـذي فتـح (صقلية) سنة ٢١٢ هـ[٣١] • مع اشراف العرب وجنود افريقية وبواســل الاندلس • في عهد زيادة الله بن الاغلب[٣٢] • حيث مات (ابن الفـــرات) مستشهدا في حصار تلك البـــــلرد • وهو القائل يوم ان تقدم الجيش العربي بعشرة الاف مقاتـــل • منهم الف فارس • وقد خرج وجـــوه اهل العلم يشيعونه • وقد صهلت الخيول ، وضربت الطبول • وخففت البنود• فقال :[٣٣] « لا اله الا الله ، وحده لاشريك له • يامعشر الناس ، ما بلغت ماترون الا بالاقلام ، فاجهدوا انفسكم فيها ، وثابروا على تدوين العلم ، تنالوا به الدنيا والاخره » •

وهناك المثل الثالث من امثلة حملة الاقلام في الشعر الاندلسي العربي• الذين كانوا يرافقون القادة في المعارك الحربية الفاصلة • ون بين هـــؤلاء تبدو شخصية الشاعر (ابن دراج القسطلي)[٣٤] الذي رافق (المنصور بن ابي عامر)[٣٥] في معاركه ضد اعدائه سنة ٣٨٥ هـ • والقائل فيها بعدة قصائد يصف القائد المقدام بقوله :[٣٦]

---

(٣٠) راجع ــ جواهر الادب ج٢ ص١٤٢ .
(٣١) راجع ــ قضاة الاندلس ص٥٤ والاعلام ج١ ص٢٩١ .
(٣٢) راجع ــ الاعلام ــ للزركلي ج٣ ص٩٢ .
(٣٣) راجع ــ قول (ابن الفرات في قضاة الاندلس) ص٥٤ .
(٣٤) راجع ــ ديوان ابن دراج القسطلي ــ المقدمة ــ وص٤٠٨ .
(٣٥) ــ راجع المصدر نفسه ــ المقدمة . والاعلام ج٧ ص٩٩ .
(٣٦) راجع ــ ديوان ابن دراج ــ القصيدة ، ص٤٠٨ .

ان تفخر الدنيا فانـــت فخارهـــا
او تختر العليا فأنـــت خيارهـــا
المجد ممنـــوع بسيفـــك عـــزه
والارض معمـــور بملكـــك دارهـــا
زهيـــت بذكرك ارضهـــا وسماؤهـــا
وجرى بســـعدك ليلهـــا ونهارهـــا
مرفرعـــة لـــك في العـــلا اعلامهـــا
لما غـــدت بـــك عافيا آثارهـــا

ويطول بنا السير اذا اردنا تعداد الشعراء والادباء وحملة الاقـلام في المشرق العربي ومغربه ، وفي دنيا الغرب والشرق • ممن ساهموا في معارك الحرية ، والدفاع عن اوطانهم وقوميتهم وحملوا السلاح بيد والقلم بيـد ثانية • وفي تراثنا العربي مذذ عصر جاهليته ، واسلاميته وتتابع عصوره من راشديه وأمويه وعباسيه الشيء الكثير ، والعديد من الاسماء اللامعـــة والنماذج الفريدة !!

هذه بعض الملامح التي اقدمها ، والتي اشار الى بعض من جوانبهـا الاخ الزميل (الدكتور محمود عبدالله الجادر)[٣٧] في مقالته في جريـــدة (الثورة) عن (المعركة ومعطيات الجبهة الثقافية) • ورحم الله (ابا الطيـب المتنبي) حيث قال[٣٨]

لا خيل عنـــدك تهديهـــا ولا مـــال
فليســـعد النطق ان لم تســعد الحال

ولعل هذا من اقل الواجبات نحو المعركة اذ الواجب يدعونا ان نحارب في الجبهة ، نحمل السلاح بيد ، واليراع باليد الاخرى • كما فعل اخواننـا الاخرون • في ماضيهم التليد ، وفي حاضرهم المجيـــد • وطيب الله تربة

(٣٧) راجع جريدة (الثورة) بغداد مجموعة تشرين الثاني سنة ١٩٨٠ .
(٣٨) راجع ـــ ديوان المتنبي ـــ شرح اليازجي ص٥٢٥ .

اجداث الشهداء الذين عطروا بدمائهم الزكية ارض الوطن العربي العزيز ولله در مفخرة الشعر العربي ، فشاعرنا (المتنبي) بقوله :[٣٩]

لا يسلم الشرف الرفيـــع مـن الاذى
حتى يـراق على جوانبـه الـــدم
افعال من تلـد الكـرام كريمـــة
وفعال من تلـد الاعاجـم اعجـم

(٣٩) راجع ــ المصدر نفسه ص٦٣٠ وص٦٣٢ .

المصادر:

(١) القرآن الكريم .
(٢) كتاب اسنى المطالب في احاديث مختلفة المراتب للشيخ محمد الحوت ط١ ــ بيروت سنة ١٣١٩ هـ .
(٣) جواهر الادب ــ للسيد احمد الهاشمي ط١ ــ القاهرة ١٣٥٦هـ ١٩٣٧م.
(٤) دماء على نهر الكرخا ــ للسيد حسن السوداني ط١ ــ بيروت ١٩٨٠ .
(٥) العرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيب ــ ط١ ــ بيروت ١٣٠٥ هـ .
(٦) في الثقافة والحضارة ــ للدكتور الياس فرح سلسلة دراسات (١٧٥) بغداد ط١ ــ ١٩٧٩ وزارة الثقافة والفنون .
(٧) تاريخ قضاة الاندلس ــ للنباهي ط١ ــ القاهرة ١٩٤٨ .
(٨) ديوان ابن دراج القسطلي ــ تحقيق الدكتور محمود مكي ط١ دمشق ١٣٨١ هـ ١٩٦١ م .
(٩) الاعلام ــ للزركلي ط٢ ــ القاهرة ١٩٥٩ م .
(١٠) كتاب المرشد الى ايات القرآن الكريم وكلماته ــ للسيد محمد فارس بركات ط١ ــ دمشق ١٣٩٨ هـ ــ ١٩٣٩ م .
(١١) دائرة معارف القرن العشرين ــ لوجدي ط٣ ١٣٨٦ هـ ١٩٦٧ م .
(١٢) الروض العطار ــ للحميري ــ ط١ ــ بيروت ــ تحقيق الدكتور احسان عباس سنة ١٩٧٥ .
(١٣) الاغاني ــ للاصبهاني ــ ط١ ــ دار الثقافة بيروت ــ لبنان سنة ١٩٦٠ .
(١٤) مجلة النجف ــ ليوسف رجيب ــ عدد خاص سنة ١٩٢٥ م .
(١٥) الغاء الاتفاقية العراقية ــ الايرانية ــ للدكتور جابر ابراهيم الراوي بغداد ــ وزارة الثقافة والاعلام رقم ١١٦ لسنة ١٩٨٠ .
(١٦) دليل الخليج ــ ط٢ د. ت ــ الدوحة ــ قطر (الطبعة المترجمة للعربية) .
(١٧) بعض من معاني «قادسية صدام» هاني وهيب ــ وزارة الاعلام بغداد رقم ١١٥ لسنة ١٩٨٠ .
(١٨) العقد الفريد ــ لابن عبد ربه . ط٣ القاهرة تحقيق الاستاذ احمد امين وجماعته .